المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:08، العدد:03 (2024)، ص402-413

ليلى بن ذياب وإسهاماتها في الصحافة الإصلاحية

Laila Ben Dhiab and her contributions to reformist journalism

عايدة حباطي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)
habbati.aida@univ-emir.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/10/01
تاريخ القبول:
2024/11/28

الكلمات المفتاحية:
- ✓ ليلى بن ذياب
- ✓ الحركة النسوية
- ✓ الإصلاح
- ✓ الصحافة

الملخص:

يندرج هذا المقال ضمن الدراسات التاريخية التي ترصد الكتابات النسوية الإعلامية في الجزائر، التي عرفت منذ الثلاثينات بروز أسماء نسوية ناقشت مواضيع اجتماعية وثقافية، إلا أنها هذه الأخيرة ظلت مغمورة. وتعتبر ليلى بن ذياب أحد هذه الأقلام، التي لم تنل حظها من الدراسة والاهتمام، وهي التي مثلت مرحلة العطاء الأدبي والإصلاحي في جريدة البصائر، مقرونا بنشاط تعليمي امتد إلى ما بعد الاستقلال. ونرنو من خلالها التعريف بليلى بن ذياب، ونشاطها، ومن وراءها إبراز النشاط النسوي الإصلاحي وأهميته في الحياة الثقافية والاجتماعية.

Article info

Received:
01/10/2024
Accepted:
28/11/2024

Key words:
- ✓ Laila Ben Dhiab
- ✓ Feminist Movement
- ✓ Reform
- ✓ Journalism

Abstract:

This article is part of the historical studies that monitor feminist media writings in Algeria, which have witnessed the emergence of feminist names that discussed social and cultural topics since the thirties, but the latter remained obscure. Laila Ben Dhiab is considered one of these pens, which did not receive its share of study and attention, and she represented the stage of literary and reformist giving in Al-Basaer newspaper, coupled with educational activity that extended beyond independence. Through it, we seek to introduce Laila Ben Dhiab, her activity, and behind it highlight the feminist reformist activity and its importance in cultural and social life.

مقدمة

عرفت الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية العديد من المتغيرات والتطورات التي حرس الجزائريون على مواكبتها كاستحداث النوادي والجمعيات وتأسيس الصحافة، هذه الأخيرة التي اعتبرت وسيلة إعلامية، ومظهرا حضاريا يواكب انفتاح الأمم، وواسطة للتعبير عن أمالهم وآلامهم في ظل وضعية استعمارية وهو ما جاء على لسان المولود الحافظي، الذي وصفها بأنها خيار الأمم ومقياس رقيّها وانحطاطها، فالصحف مدرسة الشعب الكبرى، عليها مدار حياته الاجتماعية في تبادل الآراء وطرحها...وهي الحقيقة الواسطة العظمى في سير الرأي العام [1]. وقد عكست الصحافة الجزائرية منذ نشأتها التطورات التي عرفتها المسألة الجزائرية، ونمو وعي النخبة وانفتاحها، فكانت مقياسا لنضال الجزائريين، وصورة عن تخمر الأفكار والتجارب والخبرات، ومدى استيعاب ما عرفه العالم من متغيرات.

شكلت مرحلة الثلاثينات معلما في تطور الصحافة الجزائرية رغم تعقيدات ومضايقات الإدارة الاستعمارية، بأن أصبح لكل اتجاه فكري لسان حال، وعناوين صحف وجرائد تدافع عن برامجه وتبدي أراءها في السياسة والمشاريع الاستعمارية. وبدورها ولجت النخبة النسوية هذا العالم، والذي كان حدثا مميزا، ومظهرا من مظاهر ثمار النهضة التعليمة والثقافية، خاضت فيه المرأة معاركا قلمية للدفاع عن حقوقها الاجتماعية، أين شاركت في محاولة بناء مجتمع جزائري متوازن مع واقعه وتطورات العالم، وتفتيح أذهان الجزائريين أمام سياسة التجهيل المستهدفة التي كانت المرأة والأسرة ضحية لها. وعلى قلة الأسماء النسوية حينها، إلا أنها كانت مثالا عن الحواجز العديدة التي تخطتها المرأة المتعلمة لتكون معلمة وممرضة وأديبة، وصحفية، عكست بشكل مباشر انفتاح لم يعهده المجتمع الجزائري، بأن سجلت حضورا متميزا؛ ومن ذلك مساهماتها في الصحافة الإصلاحية التي كانت ليلى بن ذياب إحدى هن، وهي موضوع هذه الورقة البحثية التي نرنو من خلالها إبراز الدور الإعلامي للنساء الجزائريات وخاصة من الحركة الإصلاحية بعد الحرب العالمية الثانية؛ حيث كانت من الأقلام النسوية القليلة التي شاركت في النشاط الإصلاحي بما في ذلك الصحافة. وبناء عليه عنوانا دراستنا: **ليلى بن ذياب وإسهاماتها في الصحافة الإصلاحية**. التي نتساءل فيها **عن مساهمة ليلى بن ذياب في سياق الكتابات النسوية الإصلاحية ودورها في البناء النهضوي للمجتمع الجزائري؟ والمواضيع التي أثارتها وكتاباتها في الصحافة الإصلاحية؟**

التي نحاول التفصيل فيها وفق منهج بيوغرافي تحليلي نتتبع فيه السيرة الذاتية للشخصية وأعمالها المنشورة خاصة في جريدة البصائر.

1.النشاط النسوي في الجزائر

1.1. العمل الجمعوي

لم يكن وضع المرأة الجزائرية استثناء عن غيرها من عناصر المجتمع، إلا أنها عانت ضعف ما عانه غيرها بسبب الوضعية الاستعمارية التي جعلت منها تعيش سجنا مضاعفا، فإلى جانب العادات البالية حرمت

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

من التعليم، الوضع الذي تجاوز أثره المرأة، بأن تعطلت معه سير تطور الأسرة والمجتمع ككل التي هي عماده.

قد أولت النخب الفكرية منذ نصف الثاني من القرن التاسع عشر المرأة اهتمامها في برامجها وكتاباتها لإصلاح حال المجتمع ونظرته الدونية لها، وإعادة إدماجها وتفعيل دورها في الأسرة والمجتمع. وإحياء مكانتها التي اهتزت بفعل العادات والتقاليد التي شوهت أصول الدين الإسلامي. وقد ارتكزت الجهود حينها على تعليم المرأة وتدريبها على الحرف التي تغنيها عن الغير وتشغل وقتها، وهي من أولى الحواجز التي كان على المرأة أن تتخطاها. كما ساهمت النهضة النسوية العربية في تغذية الوعي النسوي في الجزائر، الأثر الذي كان يصلهن عن دعوات لتحرير المرأة من كبوة الجاهلية والخرافات والبدع. وخروجها للتعلم والعمل وترأسها للجمعيات النسوية، إلى جانب ذلك كان احتكاكهن المباشر وغير مباشر بالأوروبيات قد ترك لا محالة أثره في إعطاء دفع قوي للمرأة الجزائرية والذي صاحبته دعوات من بعض النخب لاتخاذهن نموذجا، وإحداث تقارب بين المجتمعين[2].

تعتبر نهاية الثلاثينات بداية بروز نشاط المرأة الجزائرية وانخراطها في العمل الجمعوي، قد اكتسبن خلالها الخبرة التنظيمية والنشاط ضمن الجمعيات النسوية الأوروبية، الأمر الذي شجعهن على إنشاء تنظيمات نسوية تابعة للأحزاب الجزائرية، التي اهتمت بالعديد من المواضيع؛ منها محو أمية خاصة ما يتعلق بالفتيات. من الناشطات في ذلك نذكر، أنيسة بومدين، المعلمة ورئيسة جمعية الفتاة العربية الجزائرية (المرتبطة بالاتحاد الديمقراطي للبيان جزائري (UDMA) التي دعت إلى حصول المرأة على حقها في التعليم. وبدوره الحزب الشيوعي الجزائري (PCA)، أولى اهتمامه للمسألة الاجتماعية، بما في ذلك المرأة وشكل الحزب الاتحاد النسائي الجزائر (UFA)، بتاريخ 1944، ولم تتوفر لدينا أسماء من المنتمين لهذا الاتحاد ولا نشاطهن. كما أسست حركة انتصار الحريات الديمقراطية تنظيما نسائيا المسمى جمعية النساء المسلمات (1947)، الذي كانت فاطمة بن عثمان زكال من مؤسسيه، إلى جانب مجموعة من الطالبات والمثقفات؛ كمامية شنتوف التي كانت تعمل قابلة، ونفيسة لاليام وعزة بوزكري وفريدة ساكر، وغيرهن [(3)].

شهدت المرحلة نفسها مشاركة المرأة في المشهد الثقافي، وانخراطها في الجمعيات ذات الطابع التعليمي والفني، حيث ترأست أنيسة بومدين الجمعية الفنية جمعية الفتاة العربية لتهذيب (1948) [(4)]، كما كانت ديب أنيسة من الفرقة المسرحية التابعة لجمعية الشباب الموحدي الإسلامي [(5)]. وفي سابقة استثنائية أسست الشريف زهار سنة 1938، جمعية شريفات، وهي جمعية تعليمية إصلاحية، كما شغلت بوفوجي شامة منصب مديرة مدرسة العمال في بولوغين في الخمسينات [(6)]. وعليه فأن مشاركة النساء في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر ومساهمتهن في إحياء المشهد الثقافي، يعتبر تحد لوضعياتهم، وانعتاق من سجن الأعراف البالية، رغم أن جيلهم لم ينصفهم ولم تجد الكتابات والدراسات الأكاديمية المعاصرة مادة خبرية تعرف بأسماء هؤلاء، حيث جاء ذكرهم في سياقات هامشية.

2.1. النخب النسوية الإصلاحية

يعد موضوع المرأة من أكثر المواضيع الاجتماعية التي نالت حظها من الكتابة النخبوية في الصحافة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الجزائرية، فكانت مادة دسمة أثارت اهتمام التيارات الفكرية على اختلاف مشاربها. بما في ذلك النخبة الإصلاحية بمعايرها وتصوراتها في صياغة مشروع يتناغم مع الشريعة الإسلامية ومستحدثات العصر؛ إذ اعتبرت من القضايا الحساسة والمثيرة في نفس الوقت، لعلاقاتها الوطيدة ببنية المجتمع، ومخرجاته الاجتماعية والدينية والثقافية.

فقد أثارت الصحافة الإصلاحية على تعدد عناوينها، مسألة المرأة في تعليمها وحجابها ودورها في المجتمع، خروجها للعمل، وتحررها وانفتاحها على الغرب ومحاكاة واقع الأوروبيات، خاصة بعد أن عرفت الحركة الوطنية تبلور كل تياراتها الإيديولوجية، وعلت أصوات النخبة المفرنسة؛ بحيث عبرت بشكل علني عن أفكارها في منابرها الإعلامية، وأخذت هذه العلنية صفة الندية والتصادمية بلغت في بعض مراحلها درجة الانفصال والقطيعة مع أقرانها من النخب المحافظة.

لم يقتصر اهتمام الإصلاحيين في موضوع المرأة على الصحافة، وإنما كان بالنسبة إليهم جزءا من مشروع حضاري، لإعادة بناء مجتمع بقيم إسلامية، فكانت العناية بالتعليم أكثر ما حرصت عليه الجمعية، بأن خصصت أقساما للبنات؛ كجمعية التربية والتعليم الإسلامية في مدينة قسنطينة (1931)، ودار الحديث في تلمسان (1937)، وأخرى في المساجد لسماع الدروس. كما أخذت المسألة حيزا في الخطاب الدعوي الاجتماعي للحركة الإصلاحية عبر وسائطها الإعلامية في الصحف والجرائد، والخطب المسجدية لتحرير المرأة من سجن الأمية وجاهلية المعتقدات الفاسدة. وقد قطفت الحركة الإصلاحية ثمار هذه الجهود بعد سنوات، بأن كونت نخبة نسوية على قلتها، حملت على عاتقها مهاما سوسيو ثقافية لمواجهة الإبادة الثقافية الفرنسية، على رأسها التعليم؛ الذي ساهمت فيه أسماء نسوية، أشارت جريدة البصائر لبعضهن ضمن القائمة الاسمية لتوزيع المعلمين خلال السنة الدراسية (1950-1949)، التي كانت من بينهن، فتيحة أمراد، خديجة خلدون، زليخاء ابراهيم عثمان، عبورة زهية عن مدرسة دار الحديث بتلمسان، فاطمة طياب مدرسة الفلاح بوهران، الأنسة بدرة عبو مدرسة غيلزان، الأنسة خيرة مرغراني، الآنسة الزهرة مختار مدرسة شرشال، الآنسة حورية عرية، الآنسة حليمة ونيسي من مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، الآنسة زهراء عثماني عن مدرسة تبسة، حرم مصطفى الجيجلي مدرسة أقبو[7]. وقد كان لهن دورا في بلورة وعي وتفتيح أذهان الجزائريين، وبعث الاتجاه الإصلاحي في الحركة النسوية في الجزائر، التي لم تقتصر على النخبة المفرنسة. إلى جانب التعليم شغلن وظائف تتماشى مع تعليمهن وثقافتهن؛ كمعلمات وممرضات ومحررات في الجرائد [8].

شكلت المنابر الصحافية بالنسبة للنخبة النسوية أحد صور نفحات انفتاحها على حداثة العصر ومقتضيات تطوره، فواكبت هذه الأخيرة هذه الوسيلة الإعلامية، بالموازاة مع نشاط المشرقيات والأوروبيات، فعلى اختلاف ثقافات هذه النخب بمشارب فكرية إصلاحية وليبرالية، خضن على قلتهن هذا الميدان؛ حيث افتقرت الصحافة الجزائرية في عمومها لمحررات، إذا ما قارنها بالكم العددي للجنس الأخر في مختلف الصحف والجرائد الجزائرية، ومقارنة بغيرهن من الأوروبيات. وعموما عرفت الحركة الإصلاحية أسماء نسوية ساهمت في نقد الواقع الاجتماعي

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والتعليمي للمرأة ودورها في المجتمع. وشهدت البصائر على خلاف باقي عناوين صحف الحركة الإصلاحية عددا محتشم من المشاركات في أعمدتها، خاصة في إصدارها الثاني بعد ان وضعت الحرب العامية الثانية أوزارها. لكن هذه القلة إذا ما وضعناها في الجو العام الذي عايشته الجزائر، خلال تلك المرحلة ومقارنتها مع صحف ليبرالية أخرى، كالمعلمات الجزائريات من خرجي المدرسة الفرنسية، التي كان لسان حالهم جريدة لفوا دي زامبل (la Voix des humbles) (1922–1939)، فإنها اقتصرت في نشرها على بعض الأوروبيات كجيان فور صارديت (Jeanne Faure-sardet) [9] والآنسة جبالي [10]، ورمزت أخرى لنفسها (الآنسة.s) [11]. فإن عدد مشاركتهن ملفت للنظر. وهو ما نوضحه في الجدول المبين أدناه:

الجدول 1: (المشاركات في جريدة الصائر الثانية)

الاسم	العنوان	العدد	التاريخ
زليخاء عثمان	التعليم وحظ المرأة منه	93	17 أكتوبر 1949
زليخاء عثمان	حفلة مدرسة عائشة.	192	2 جوان 1952
فتيحة القرصو	حول تأسيس مدرسة	201	15 سبتمبر 1952
زهور ونيسي	سلام باي يحتفل بشهر الصيام	276	25 جوان 1954
مليكة بن عامر	رسالة إلى روح الفتاة	276	25 جوان 1954
زهور ونيسي	إلى استهانت بعذاب الله	288	8 أكتوبر 1954
زهور ونيسي	إلى الشاب	297	17 ديسمبر 1954
زهور ونيسي	فائدة العلم والعمل	303	28 جانفي 1955
زهور ونيسي	إلى الناقد...	304	4 فيفري 1955
زهور ونيسي	من صميم الواقع الأمنية...	309	11مارس 1955
زهور ونيسي	لنترك الثرثرة	315	22 أفريل 1955
لويزة قلال	حول المرأة الجزائرية	301	14 جانفي 1955
باية خليفة	البدوية والحياة	296	10 ديسمبر 1954
باية خليفة	قيمة المرأة في المجتمع	298	24 ديسمبر 1954
خديجة بوكثرة	الوردة الدابلة	307	25 فيفري 1955
زهور ونيسي	من الملوم	317	13 ماي 1955
زهور ونيسي	نتيجة مؤلمة	327	15 جويلية 1955
زهور ونيسي	جلسة صديقات	337	14 أكتوبر 1955
زهور ونيسي	جناية أب	345	16 ديسمبر 1955
زهور ونيسي	نظرة فتاة حول رحلة المغرب الأقصى	346	13 جانفي 1956
زهور ونيسي	صوت المرأة	359	23 مارس 1956
الأنسة مهدي.ج	افتتاح مسجد بمغنية	350	20 جانفي 1956

المصدر: من انجاز الباحث

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

عبرت الكتابات النسائية من خلال المواضيع التي تناولنها عن حركة ثقافية وأصوات أدبية مبكرة، على رأسهن زهور ونيسي (1937-؟) التي كانت أكثر حظا في إتمام مسيرتها الأدبية والتعلمية، فإلى جانب ليلى بن ذياب –موضوع هذه الدراسة– كانت أكثر الأقلام النسائية بروزا في الصحافة الإصلاحية، واللواتي كن يكتبن في الغالب بأسلوب أدبي، شكل النواة الأولى للقصة القصيرة. لم تخرج هذه الكتابات في عمومها عن الطرح الاجتماعي ومواضيع تتعلق بالمرأة في تعليمها ومحيطها وقيمها الإسلامية، وبناء شخصيتها. وإن لم تتخط في هذه الكتابات إلى الطرح السياسي، إلا أنها جاءت تحمل من الجرأة والتحد في الطرح في فترة حرجة من تاريخ الجزائر بعد إعلان الثورة.

2. حياة ليلى بن ذياب

أولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإصلاح الاجتماعي أهمية بالغة في إعادة بناء المجتمع، فكانت الأسرة والشباب والمرأة قد نالت حظا وافرا من عنايتهم في الكتابات والخطب، هذا الأخير الذي جعل الجمعية وسطا حيا سليما ملائما لنشأة وترعرع عددا من بنات الجمعية اللواتي شاركن العلماء في ثورتهن على الجهل والإدماج والفرنسة... إلا أن حظهن من الاهتمام كان ضئيلا، فبرز رجال الجمعية وغابت نسائها، يتجلى هذا بشكل جلي في الصعوبة التي يجدها الباحث عندما يترجم لإحدى نساء الجمعية. فلم يترجمن لأنفسهن، وظل أغلبهم مجهولا، لم تعرف الأجيال منهن إلا اللواتي استمر نشاطهن النضالي أثناء الثورة التحريرية، وخضن بعد الاستقلال مسيرة البناء، وتقلدن مناصبا علمية وثقافية. من بين هؤلاء ليلى بن ذياب التي تُجهل مسيرتها ونشاطها التعليمي والصحفي.

لم تحظ مترجمتنا بترجمة وافية عن حياتها ونشاطها، فما هو متوفر بين دفتي الكتب والرسائل الأكاديمية المهتمة بالحركة الإصلاحية إلا إشارات بسيطة، فتذكر كاسم من ضمن أسماء قليلة أخرى، فلم يفصل في حياتها إلا يحي بوعزيز في كتابه "**المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية**" انطلاقا من رسالة أرسل بها والدها للتعريف بها.

هي ليلى بنت أحمد بن الحاج صالح بن أحمد بن الصغير، أمها مباركة بنت محمد علي بن الصغير، من عرش أولاد بليل العربي بين عين بسام وسور الغزلان. ولدت في 26 جوان 1934، نشأت يتيمة بين أحضان جدتيها بعد وفاة أمها، في عمر أربع سنوات (1938). وهي الفترة التي قضاها الوالد في الدراسة بين قسنطينة وتونس.

التحقت ليلى بالقسم القرآني ثم التعليمي في مدرسة الهدى وهي بين سن السابعة والثامنة، انتقلت مع الوالد (أحمد بن ذياب) [12] إلى ولاية برج بوعريريج (1947) [13]، أين كان يدرس في مدرسة التهذيب [14].

أولها الوالد عنايته التعليمية ابتداء من سن ثانية عشر، بحرصه على تلقينها النحو، إلى جانب حفظ القرآن، والاطلاع على المواضيع الأدبية والدينية، واصطحابها إلى نادي الفنون الجميلة بالمدينة.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ارتبطت حياة ليلى بن ذياب بكثرة التنقل بين ولايات الوطن تبعا للنشاط التعليمي للوالد (أحمد بن ذياب)، فكانت في كل محطة تستفيد من المحيط العلمي، وفي سيدي بلعباس الولاية التي انتقلت إليها الأسرة، كانت قد بلغت من العلم ما جعلها تعوض المعلمين الغائبين، كما راسلت من هناك جريدة "**الأسبوع تونسية**" دون الإشارة إلى العناوين التي شاركت بها، واقتصر بوعزيز على ذكر نوع مقالات التي كانت ترسلها على أنها كانت أدبية واجتماعية، وما يتصل بحياة المرأة. كما أنها في شلغوم العيد المحطة الثالثة التي استوقفت العائلة (1950) وقربتها من مركز الإصلاح قسنطينة، قد كانت بالنسبة لها بداية التواصل مع البصائر والبشير الإبراهيمي. ومن العلمة (1951) انخرطت في سلك التعليم في مدرسة إحياء العلوم الإسلامية، الذي عاودت مباشرته بعد الاستقلال (1963) إلى غاية 1988 [15].

ولا تختلف مسيرة ليلى بن ذياب عن غيرها من نساء الجمعية اللواتي أتممن مسيرتهن العلمية، فأحدثن الاستثناء، فلم تكن المعلمات الجزائريات في المدارس الفرنسية وحدهن من اخترقن سكونية المجتمع، وشاركن في إحياء الأمة والمساهمة في نهضة المجتمع وتنمية الأسرة.

3. الكتابات لليلى بن ذياب الصحافية

كانت تجربة ليلى بن ذياب في الصحافة، خلاصة تجارب وتشبع بفكر إصلاحي، وإن كانت هذه التجربة قد خاضتها مترجمتنا في مرحلة هامة امتدت نصف عقد، عكست في تحليلها لمواضيع المرأة والأسرة والمجتمع نظرة منفتحة على العالم، تجاوزت فيها نظرة المجتمع الضيقة للمرأة، في الحدود التي رسمتها الشريعة الإسلامية، إلا أنها كانت من المُقلات، انقطعت عن الكتابة الإعلامية وركزت جهدها على التعليم فحسب، الذي عادت إليه بعد الاستقلال إلى غاية تقاعدها (1988).

هو السياق نفسه الذي طرقته الكاتبات في الجريدة. وحاولت أن تناقش مسألة تأخر المرأة الجزائرية عن ركب النهضة. ارتبطت مسيرة ليلى بن ذياب بالصحافي التونسي نور الدين بن محمود صاحب جريدة "**الأسبوع**" ابتداء من (1950)، الذي قدم إلى الجزائر لجمع الاشتراكات ومستحقات جريدته من الموزعين، وهناك اطلع على بعض ما كتبته والتزم هو بدوره بنشرها، فكانت تونس البداية الأولى لها في عالم الصحافة [16]. كما كانت دعوة البشير الإبراهيمي عند أول لقاء بعد أن كانت قد نشرت في جريدة البصائر عمودا "**اخترت لكم**" ثم انقطعت، حينها عاتبها بالقول: "**لماذا تتصدر أديبة مثلك للكتابة في جريدة تونسية، وتتحاشى الكتابة في جريدة جمعية العلماء**" [17]، فكانت البداية التي نشرت بعدها سلسلة من المقالات، أين التحقت بمجموعة من الكاتبات، في جريدة البصائر؛ كزليخة عثمان إبراهيم المعلمة بمدرسة دار الحديث بتلمسان، ومليكة بن عامر معلمة في مدرسة التهذيب بشلغوم العيد، وباية خليفة وغيرهن.

وتعتبر جريدة البصائر الثانية (1947-1956)، أكثر استقطابا للحركة النسوية الإصلاحية، فشهدت هذه الأخيرة عددا من المشاركات مقارنة بباقي الصحف الجزائرية. كما كان موضوع المرأة فيها ضمن الطرح

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الاجتماعي لها، لكنه حضور نادر في الصحافة الجزائرية على حد تعبير مليكة بن عامر مقارنة مع غيرهن في أمم أخرى [18].

تعتبر ليلى بن ذياب من أكثر الأقلام كتابة في البصائر، فكتبت سلسلة مقالات بداية من 1949، لكن بعد المسافة (سيدي بلعباس) جعلها تنقطع عن مراسلة البصائر، إلى غاية جوان 1951 أين انتظمت في كتابة عمودها "**اخترت لكم**"، الذي ظلت مواظبة على الكتابة فيه إلى غاية ديسمبر 1951، بمعدل تسع مقالات (من العدد 158-177). يبدو أن العامل الجغرافي، قُربها في الشرق الجزائري (شلغوم العيد، العلمة) قد ساعدها على انتظام في المراسلة، بينما جعلتها والتزاماتها المنزلية بعد زواجها (1952) [19] تنقطع عن الكتابة في هذه الجريدة، فلم يذكر اسمها مجددا في قائمة المحررين إلى غاية توقفها (1956).

على غرار أقرانها غلب على ليلى بن ذياب الأسلوب الأدبي في كتاباتها، بلغة راقية ناقشت مواضيع مختلفة، فأثارت العلاقة المرأة بالتعليم، وحقها في نصيب من الثقافة السليمة، والآداب الراقية. وهي من المسائل الجدلية، أمام الأصوات التي كانت تدعو إلى مكوثها في المنزل، وتداعيات ذلك على أبنائها، وأسرتها، وحاجة المجتمع لخدماتها بعيدا عن منزلها، فتعليمها مربط رقي الأمة ونهضة الجزائر [20] وهو الطرح الذي تناغم تماما مع جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومختلف أطياف النخب الفكرية التي كانت تنشد انفتاحها بالعلم. وقد تنوعت المواضيع التي تناولتها في عمودها القار تقربا أسبوعيا. التي كانت ترنو من خلاله إلى تعميم الفائدة وتنمية ثروة اللغوية للقارئ [21]، وفي إشرافه عليه ما ينم على ثقة إدارة البصائر في أدبها وعلمها. ومن المواضيع التي طرقتها الطفولة والأمومة، بروابطها الروحية وملكة المسؤولية، مستشهدة في ذلك على ما قيل في الموضوع من الأدب العربي [22]. كما أثارت في موضوع آخر الأمل الذي يتعلق به الجميع المريض والفقير والمأزوم والمحروم والعاجز، ولسان حالهم: إذا كان في اليوم قنوط ففي الغد رجاء [23]. وكان في ذلك رسالة للجزائريين، بتجديد الأمل في تحسن الحال والمآل وهي قراءة تفاؤلية.

نقلت ليلى بن ذياب في إحدى مقالاتها صورة من الصور المفقودة، عن مدارس الجمعية وأجوائها العلمية والأدبية؛ إذ أعادت نشر قطعة أدبية كتبها والدها المدرس أحمد بن ذياب في سيدي بلعباس، وهي نص مسرحي بعنوان "**الحياة عمل... أم الحياة ميراث**"[24] عكست فيها القيم الأخلاقية وتهذيب النفس، وتفتيح الذهن، والفضيلة السامية التي كانت تبني بها الجمعية شخصية البنات بناء سليما. ولهذا النص المسرحي قيمته الأدبية والتاريخية في دراسة أدب الجمعية، ونشاطها الإصلاحي والتعليمي.

شاركت الكاتبة بن ذياب بدورها في النقاشات الحادة حول موضوع المرأة في حجابها وسفورها وعملها الخارجي التي أخذت حيزا من اهتمام نخب عصرها، فكانت ترى أن لانفتاح المرأة حدود مرسومة عليها أن لا تتجاوزها، فضيقت من عملها الخارجي، وقدمت بدله أسرتها وأبناءها؛ وحجتها في ذلك أن ليس كل الأعمال تتناسب مع طبيعتها وكرامتها، ومن الوظائف التي تحفظ كرامتها وتخدم مجتمعها؛ التعليم والتطبيب والصحافة.[25] كما اعتبرت العلم والمتعلمين النواة الأولى في رقي الجزائر ورفعتها؛ فبحس وطني وغيرة على الأمة ومصيرها

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

خاطبت المتعلمين: "**يا أبناء الجزائر العاملين، ويا كواكب سمائها اللامعين، ويا طلبتها المخلصين، إن كنتم حقا تريدون أن تجعلوا من جزائركم جوهرة ثمينة في قلادة الحياة ...فاغرسوا في قلوب إخوانكم شجيرات الفضيلة واقتلعوا من وسطكم جذور الرذيلة، انقدوا الدين حاربوا الأمية، انصروا الحق...**". [26] كما وجهت نداء عاجلا بمناسبة الدخول المدرسي (أكتوبر 1951)؛ تنبه فيه لخطر تراجع التعليم العربي، وامتداد التعليم الفرنسي التي تدعمه فرنسا بميزانية ضخمة وعدد من المدارس ليس حبا في الجزائريين، وإنما إستراتيجية لتمييع الجزائريين ومحو جذور شخصيتهم وهويتهم العربية الإسلامية: "**يا قوم ألستم ترون في البلد الواحد، وقد لا توجد عربية ذليلة محرومة من ضرورياتها نادينا كل باسم الإسلام، وكأننا صم، وبدواعي العروبة، فنعرض عنها مستنكفين مستكبرين...**" [27] فكان ندائها: "**أيها الشعب الكريم، أننا في أسوأ الحال، من الجهل، وضعة النفس، وفساد الأخلاق وقلة المروءة...**" [28]. والأسوء من ذلك أن المساعي لإنشاء تعليم عربي يقابله تعقيدات كثيرة. وختمت مقالها بسؤال جوهري، "**متى تعرف الجزائر عضال دائها، فتعلن التعبئة العامة، لقطع دابر ألد أعدائها، وهو باء الجهل عامة...**" [29].

وفي السياق نفسه قدمت الكاتبة خلاصة تجربتها التعليمية [30]؛ فشرف التعليم بالنسبة لبن ذياب الكاتبة وفضل المعلم يضاهيه مهمة الأم في تربية طفلها، فهي ليست وظيفة فقط للاسترزاق بل مهمة شريفة في صقل العقول وتهذيب الأخلاق. وهي من الأهداف التي سطرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مشروعها الإصلاحي وبناء أمة بجناحيها ذكورا وإناثا لبناء أمة سليمة.

نوهت ليلى بن ذياب برسالة عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن قيس عن القضاء، وإن لم تصرح بخطورة التشريعات الفرنسية التي قضت على القضاء الإسلامي، ومن ورائه الهوية العربية الإسلامية، رمزيته السيادية، إلا أنها استشعرت أهميته في الأمة الإسلامية [31].

خاتمة

ختاما لهذه الدراسة، نخلص إلى مجموعة من نتائج نختصرها في النقاط الآتي ذكرها:

-عبر الحضور النسوي الجزائري، عن خلاصة خبرات وتجارب، اختمرت تحت تأثير تفاعلات وتأثيرات محلية وأخرى مشرقية غربية، دفعت المرأة، وبصفة خاصة نخبتها المتعلمة إلى اقتحام العديد من الميادين التي كانت في العقود الأولى من القرن العشرين حكرا على الرجال.

- الكتابة النسوية في الصحافة الجزائرية هي النواة الأولى التي حررت الأقلام النسوية من قوقعة وسكونية العادات البالية، وكانت الإرهاصات الأولى في ظهور حركات نسائية جمعوية.

- تعتبر ليلى بن ذياب من الأصوات المغمورة في تاريخ الحركة الإصلاحية، شاركت بقلمها في مسار نضال المرأة وإبداعها في المرحلة الجنينية للكتابة النسوية. إلا أنها لم تحظ حياتها ونشاطها الإعلامي بالاهتمام والعناية في غمرة زخم المرحلة، ولم توليها الدراسات العلمية المختصة الاهتمام الكافي.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

– عكست التجربة الإعلامية لمترجمتنا في هذه الدراسة مشاربها الفكرية التي غذت ثقافتها اللغوية وعززتها التجربة التعليمية، وهي التي ترعرعت في بيت من بيوت علماء الجمعية، وقد عبرت عن كتاباتها عن خصوصية إبداعية بلغة أدبية راقية، كتبت فيها عن مواضيع أرقت مجتمعها ووطنها في ظل وضعية استعمارية، والمقاومة الثقافية فيها لا تقل شأنا عن السلاح. حيث كتبت ليلى بن ذياب عن المرأة وقضاياها، التعليم، المعلم، الجهل والأمية، الطفل والأمومة، بطرح فكري هادئ ناقد للواقع، متطلع لبناء فرد جديد يتماشى مع مقتضيات العصر، محافظ على هويته وروابطه الدينية واللغوية والوطنية، فكانت المعلمة والأديبة والمصلحة والوطنية الغيورة على أمتها ووطنها.

وفي الأخير يمكننا القول؛ أن النشاط النسوي في الحركة الإصلاحية لا يزال مجالا بكرا، وأغلبهن لازلن مغمورات لا يعلم من سيرتهن ونشاطهن الإصلاحي والتعليمي إلا قليل، يحتاج إلى دراسات جادة لاستكمال صورة عن نشاط هذه الحركة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

الهوامش

(1) المولود بن الصديق الحافظي، **في عالم الصحافة، المنتقد**، ع.4، 23 جويلية 1925، ص1.

(2) Hadj cherif cadi (1926) , **Terre d'Islam** , Imprimerie Heintz fréres, Oran,p139 .

(3) Feriel Lalami, Généalogie du mouvement féministe en Algérie commencements et identité, **Séminaire Genre, politique, sexualité(s). Orient/Occident**, Paris,2015, p2. Zieneb Guerroudj, "Les Association de femmes en Algérie, Femmes et mouvements de femmes face à la situation algérienne: **analyses et solidarités Aux femmes algériennes en lutte**" ,3ème journée de l'ANEF Université, Paris, 1995 ,p. 11 .

(4) محمد قن، **الجمعيات والنوادي في مدينة الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي**، 1930–1954، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، 2016، ص414.

(5) المرجع نفسه، ص381.

(6) المرجع نفسه، ص413–414.

(7) للمزيد ينظر: **جريدة البصائر**، قائمة توزيع المعلمين لسنة 1949–1950، 17أكتوبر 1949، ع93، ص15–16.

(8) صحف الجمعية غنية بتتبع نشاط الجمعية للمرأة، ودور النساء الإصلاحيات. للمزيد ينظر: مولود عويمر، "**نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**"، **مجلة البصائر**، 21 جمادى الأول 1437هـ/ 1 مارس 2016، ص18.

(9) **la Voix des humbles** ،n181-182,1937,p 30.

(10) **la Voix des humbles**، 167,1936,p 5-6

(11) **la Voix des humbles**، n162, Novembre 1935,p.216.

(12) بينما يشير مولود عويمر في دراسته: "**نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**" أن العلاقة التي تربطها بأحمد بن ذياب، هي الأخوة، بينما يحيى بوعزيز يؤكد رابطة الأبوة، ويبدو أن الأخيرة هي الأصح، وهو ما أكدته هي في مقال لها عندما نقلت تجربة الوالد في التعليم. للمزيد ينظر: مولود عويمر، "**نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**"، مرجع سابق، ص18. يحيى بوعزيز، **المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية**، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2000، ص40. ليلى بن ذياب، **أخترت لكم، البصائر**، مج8، ع162، 2 جويلية 1951، ص213.

(13) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص41–42.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

(14) تأسست هذه المدرسة سنة 1936 باسم أحباب البيان، وابتداء من1947، تم تغير اسمها إلى مدرسة التهذيب، وقد تولى ادراتها حتى 1962، مجموعة من رجال الجمعية، محمد لبليدي، أحمد بن ذياب، علي مرحوم، عمر شكيري، محمد الأكحل شرفاء، محمد العربي سعدوني، نويوات موسى الأحمدي.

(15) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص44-47.

(16) مولود عويمر، المرجع السابق، ص18.

(17) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص46.

(18) مليكة بن عامر، **رسالة إلى روح الفتاة، البصائر**، مج11، ع276، 25 جوان 1954، ص51.

(19) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص45-46.

(20) ليلى بن ذياب، **تعليم المرأة، البصائر**، ع93، 17 أكتوبر 1949، ص34.

(21) ليلى بن ذياب، **اخترت لكم، البصائر**، مج8، ع158، 4 جوان 1951، ص181.

(22) المصدر نفسه، ص181.

(23) ليلى بن ذياب، **اخترت لكم، البصائر**، مج8، ع159، 11 جوان 1951، ص191.

(24) ليلى بن ذياب، **اخترت لكم، البصائر**، مج8، ع162، 2 جويلية 1951، ص213.

(25) ليلى بن ذياب، **اخترت لكم، البصائر**، مج8، ع163، 16 جويلية1951، ص.212.

(26) ليلى بن ذياب، **اخترت لكم، البصائر**، مج8، ع164، 23 جويلية 1951، ص213.

(27) ليلى بن ذياب، **اخترت لكم، البصائر**، مج8، ع177، 17 ديسمبر 1951، ص213.

(28) المصدر نفسه.

(29) المصدر نفسه.

(30) ليلى بن ذياب، اخترت لكم، **البصائر**، مج8، ع168، 3 سبتمبر 1951، ص263.

(31) ليلى بن ذياب، اخترت لكم، **البصائر**، مج8، ع170، 17 سبتمبر 1951، ص277.

قائمة المراجع

1- يحيى بوعزيز، (2000)، **المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية**، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر.

2- Hadj cherif cadi (1926) , **Terre d'Islam** , Oran. Imprimerie Heintz frères.

3- محمد قن، (2016)، **الجمعيات والنوادي في مدينة الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي، 1930-1954**، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، الجزائر.

4- (17 أكتوبر 1949)، قائمة توزيع المعلمين لسنة 1949-1950، **جريدة البصائر**، ع93.

5- ليلى بن ذياب، (17 أكتوبر 1949) ، **تعليم المرأة، البصائر**، ع93.

6-. ليلى بن ذياب، (2 جويلية 1951)، **اخترت لكم، البصائر**، ع162.

7- ليلى بن ذياب، (4 جوان 1951)، **اخترت لكم، البصائر**، ع158.

8- ليلى بن ذياب، (11 جوان 1951)، **اخترت لكم، البصائر**، ع159.

9- ليلى بن ذياب، (2 جويلية 1951)، **اخترت لكم، البصائر**، ع162.

10- ليلى بن ذياب، (16 جويلية1951)، **اخترت لكم، البصائر**، ع163.

11- ليلى بن ذياب، (23 جويلية 1951)، **اخترت لكم، البصائر**، ع164.

12- ليلى بن ذياب، (17 ديسمبر 1951)، **اخترت لكم، البصائر**، ع177.

13-مليكة بن عامر، (25 جوان 1954)، **رسالة إلى روح الفتاة، البصائر**، ع276.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

14- **la Voix des humbles** ,(1937), n181-182.

15-**la Voix des humbles**, (1936), 167.

16− **la Voix des humbles**, (1935), n162.

17− مولود عويمر، (1 مارس 2016)، "**نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**"، **مجلة البصائر**.

18- Feriel Lalami, (2015), **Généalogie du mouvement féministe en Algérie commencements et identité**, **Séminaire Genre, politique, sexualité(s). Orient/Occident**, Paris.

19- Zieneb Guerroudj, (1995), "**Les Association de femmes en Algérie, Femmes et mouvements de femmes face à la situation algérienne: analyses et solidarities Aux femmes algériennes en lutte**" ,3ème journée de l'ANEF Université Paris.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)